

عوامل القدرة المعنوية

المناسبة: ذكرى ولادة أبي الأحرار الإمام الحسين (ع) ويوم الحرس

الزمان والمكان: 4 شعبان 1420 هـ — ق طهران

الحضور: الآلاف من قادة وعناصر حرس الثورة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

في البداية أبارك لكم أيها الأعضاء الحاضرون في هذا المجلس حلول اليوم الثالث من شعبان — الذي سُمِّي كما هو حقّه يوم الحرس — وأبارك لجميع حُرّاس الثورة في أرجاء الوطن الإسلامي الكبير، كما أبارك لكم ولادة الإمام زين العابدين (عليه السلام)، وأبي الفضل العباس، ولجميع أبناء الشعب.

شخصيات خلّدها التاريخ

هنالك نقطة تلفت النظر وهي: أنّ كلاً من هذه الشخصيات التي أنارت التاريخ بشكل أو آخر — الحسين بن علي (ع) والإمام السجاد (ع) وأبو الفضل العباس (ع) — كان البعض يظنّ في حقّها وفي عهدّها، ظناً مادياً باطلاً، بأنّ هذه الشخصيات قد اندثرت بالكامل.

استشهد الإمام الحسين (ع) في الغربية مع جميع من كان معه من الشباب والشخصيات البارزة من عائلته — الأخوة والأولاد والأقارب والصحابة الغيارى — ودفنوا في منتهى الغربية، ولم يُشيعوا، ولم يقدّم لهم العزاء.

ظنّ البعض باطلاً أنّ بقاء هذه النلّة قد يثير عندهم غريزة الانتقام، كما كان ذلك البعض يتصوّر أنّ المسألة ستنتهي بالقضاء على الإمام الحسين (ع) وأصحابه.

يبدو ظاهرياً أنّ الإمام السجاد عاش بعد الإمام الحسين مدّة أربع وثلاثين سنة في حالة انزواء دون أن يشكّل تكتلاً أو جماعة أو عسكرياً أو تمرّداً.

أما أبو الفضل فقد استشهد في يوم عاشوراء.

لقد كانت تصوّرات القوى المادية — التي تحكم الناس بمنطق مادي — أنّ الأمر قد انتهى بمجرد القضاء على هذه الشخصيات؛ لكن واقع الأمر كان مختلفاً عمّا كانوا يتصوّرون، فلم يُقضَ عليهم، بل خلّدوا، وأخذ جلالهم وجاذبيّتهم وتأثيرهم يزداد يوماً بعد آخر، فقد استولوا على قلوب الناس وفتحوها، فزادوا من دائرة وجودهم.

واليوم يتبرك بأسمائهم مئات الملايين — من الشيعة وغير الشيعة — وينهلون من كلامهم، ويجلّون ذكراهم؛ إنه النصر في التاريخ، نصر حقيقي وخالد.
إن السؤال الذي ينصرف إليه ذهن هو: ما واقع الأمر؟ وما هو سبب البقاء والخلود؟

برأيي أنها من الحقائق الأساسية، وفي الوقت نفسه من أوضح الحقائق وأشدّها رواجاً في حياة البشرية، إلا أن شأنها شأن جميع الحقائق الواضحة والبديهية، فلا يلتفت إليها ذهن الغافل.

إنّ حقائق العالم جميعها حقائق مهمة؛ كالشمس والقمر والليل والنهار ومجيء الفصول المختلفة، والحياة والموت؛ إنّ للإنسان في كلّ من هذه الحوادث درساً جديراً بالتدبر، إلا أن الغافلين لا يلتفتون إليها، بينما يعتني بها المتدبرون وينهلون منها زادهم.

نوعان من عوامل القدرة

إنّ الحقيقة التي أشرنا إليها هي من تلك الحقائق الواضحة التي كانت على مرّ العصور؛ وهي أنّ هنالك نوعين من عوامل القدرة: نوع من العوامل المادية، والنوع الآخر هو القدرة الناشئة عن عوامل معنوية.

إنّ عوامل القدرة المادية هي المال والقوة، والتي مارسها الجبابرة على طول التاريخ، ولم يكتب البقاء لهذه القدرة إلاّ أياماً معدودة.

انظروا إلى جبابرة العالم حيث عمّروا طويلاً خاضوا فيه المعارك وسعوا ومارسوا السياسة لأجل اقتطاف ثمار ما دامت لهم إلاّ سنوات قليلة؛ أي لا شيء في الواقع.

عوامل القدرة المعنوية

إلاّ أن هناك عوامل للقدرة المعنوية، وهي الإيمان والطهارة والتقوى والصدق والحقانية، والقيم الدينية مقترنة مع الجهاد والسعي؛ فهذه القدرة قدرة خالدة، وهذه القدرة لا تعني الأخذ والتكنيز والربح والتمتع، بل هي قدرة التاريخ الخالدة، وقدرة التحكم بمصير البشرية؛ كما هو الحال بالنسبة للأنبياء، فهم أحياء حتى اليوم.

كما أن زعماء العدل والحق لازالوا أحياء في تاريخ البشرية؛ وما يعني ذلك؟ إنّ ذلك يعني أن النهج الذي سعوا وجاهدوا وناضلوا في سبيل توطينه في نفوس البشرية، أصبح خالداً وصار مفهوماً لازالت البشرية تتهل منه الدروس.

إنّ الخيرات والصالحات والمحاسن التي نجدها عند البشرية اليوم ناشئة من تلك الدروس، وهي استمرار لمساعي الأنبياء والمصلحين والخيرين، فهذه تبقى وتخلد.

إنّ الإمام الحسين (ع) كان يملك عوامل القدرة المعنوية، ورغم أنه استشهد في النهاية، إلاّ أن جهاده ما كان لأجل التمتع بلذائذ الدنيا لأيام معدودة، لكي نقول: إنه خسر المعركة بشهادته؛ بل إنّ جهاده كان لأجل إبقاء منهج التوحيد، وحكومة الله، ومنهج الدين والنجاة وصلاح الإنسان، وتخليد هذا المنهج في حياة البشرية؛ وكان ذلك في وقت يسعى فيه البعض أن يمحوا هذا المنهج كلياً، وأنتم ترون نماذج من أولئك اليوم!

في وقت ما كانت هذه القضايا تعد تصوّرات ذهنية إذا ما طرحت، إلاّ أن هذه الحقائق الذهنية تحققت اليوم وأصبح لها واقع، حيث ترون أن جبابرة عالم اليوم ينفقون الأموال، ويصرّون في ممارساتهم لأجل الحوّل دون تحكّم الدين، ولأجل محو الدين من الدنيا.. حصل في جزء من العالم أن انتفض شعب، وحكم القيم الدينية خلافاً لرغبات الجبابرة؛ وهذا درس للعالم والشعوب الأخرى.. إنّ مساعيهم اليوم هي لا لأجل إسقاط النظام فحسب، بل لأجل محو أصل المسألة من ذهن البشر ومن مجموعة الدروس الخالدة، للحوّل دون تعليم هذا الدرس للآخرين لا اليوم ولا في المستقبل.

إنّ مساعيهم الإعلامية لأجل هذا.

وإلاّ فإننا إذا فرضنا أنّ نظاماً صاحب رؤية وحقيقة وفكر وإيمان كان قائماً هيكلياً ومفارقاً لأفكاره وروحه؛ فالشخصيات فيه موجودة إلاّ أنها بريئة من أفكاره وروحه، إنّ هكذا نظام نظام فاشل، ومحقق لمآرب أعدائه.

إنّ زوال الدين هو المهم عندهم، وأهمية ذلك أكثر من أهمية القضاء على الشخصيات، وأكثر من القضاء على التكتلات السياسية والعسكرية التي لا يرتضونها. المهم هو القضاء على الفكر والأهداف والدوافع.

خلود نهج الأنبياء والصالحين

إنّ أعظم سر للفشل هو أن يصرّح رافعو الراية وزعماء الدعوة بخطئهم! إنكم من ذوي الفكر والتحليل، وترون الدنيا اليوم تبحث عن هذا؛ إنّ هذا هو المهم، وهو الهدف الرئيس للجهاز الاستكباري إزاء الجمهورية الإسلامية.

إنّ الأنبياء والأولياء والصالحين والشهداء وعظماء التاريخ نجحوا في هذا الجزء من القضية، وهو الجزء الأهم، فالإنسان يموت في نهاية أمره، وكذا الجبابرة والمالكون والمنفقون، وهذا ليس مهماً، المهم هو بقاء وخلود ذلك الخط والمنهج، والطريق الذي

يشار إليه بالبنان، وهذا ما نراه حالياً، فإن الطريق خُلد، ولا يزال يتسع ويشغل حيزاً أكبر.

في يوم من أيام أول قرنين مضيا على تجديد الحياة الصناعية في أوروبا، حيث توجهوا إلى العلم، تصوّروا أنّ الدين رحل من الدنيا. وإنّ ما ترون اليوم من أفكار يجريها بعض القادمين توّاً إلى ساحة الفكر والسياسة على ألسنتهم هي في الحقيقة كلمات فلاسفة وساسة أوروبا في القرن التاسع عشر، كانوا يتصوّرون أنّ الدين قد انتهى، وتجربتهم في هذا المجال تكشف عن أنّ الدين ملوث بالخرافات وممتزج بالظلمات، وما استطاع المقاومة أمام العلم، وولّى. إنهم تصوّروا أنّ الدين في أي بقعة من العالم هو نفسه الذي كان في أوروبا، أي من نفس النوع المسيحي، والتدين هو نفسه في أي مكان وجد، وكذا التعصّبات وما تخلّلها من فساد كبير.

إنهم تصوّروا أنّ الدين قد انتهى، وقد انحلت مشكلة الدين في الدنيا، فبدأوا بتقويم وترتيب — حسب تصوّرهم — ما ترسّب في أعماق البشر وزوايا وجودهم من الدين والتدين، وأخذوا بهدم ذلك المقدار من الدين.

إنكم تلاحظون اليوم أنّ الدوافع الدينية والتوجّه إلى الدين وإلى المعنوية، وبخاصة في ذلك المجال المشترك والخالص من الدين، أي الجانب المعنوي وما تهوى إليه القلوب من المعنوية قد ملأ الدنيا وأخذ بالازدياد يوماً بعد آخر، لكن ما يؤسف له أنّ هذا الشعور العرفاني شعور سطحي في الأماكن التي لا تحظى ببُنى إعتقادية وفكرية على غرار البُنى التي يتمتع بها الإسلام.

إنّ البُنى إذا بلغت المستوى الموجود في الإسلام فإن الشعور والأحاسيس الناشئة منها ستصبح قيّمة للغاية.

وعلى هذا فقد حصل عكس ما توقّعه؛ وهذا هو العامل المعنوي للقدرة؛ وهو عينه ما حصل في الثورة، وهو ذاته ما حصل لحراس الثورة.

رعاية العامل المعنوي في تشكيلات الحرس

أيّها الحراس الأعزّة، إنّي أصرّ على أن تلتفتوا — أينما كنتم — إلى روح وحقيقة قضية الحراس؛ لم يكن الدافع إلى تأسيس الحرس هو أنّ النظام جديد العهد وبحاجة إلى تأسيس قوّة مسلّحة جديدة، بل القضية كانت فوق ذلك.

إنّ الشأن كان العناية بالفكر والعقيدة والإيمان في هذا التشكيل العسكري، أي رعاية العامل المعنوي للقدرة في جميع أجزاء هذا التشكيل الذي أسّسته الثورة الإسلامية، وقد

حصل هذا في كل مكان أمكن ذلك؛ وهذا كان أساس القضية وجوهرها، أما أولئك الذين كانوا غير راغبين في تشكيل هذه القوة، أخذوا بها — مراراً — نحو الإنزواء وإلى حافة الانحلال.

ما كانوا يُبالون ولا يعتنون بها، وما كانوا يمنحون لها الإمكانات، بل كانوا يطعنون بها؛ إلا أن الحرس بقي، وإن عموداً محكماً كهذا يبقى، لماذا؟ لأنه كان ولا يزال يتمتع بعوامل القدرة المعنوية، ويحظى بها بوفرة، وما هي عوامل القدرة المعنوية؟ هي: العقيدة، والإيمان، والإخلاص، والجهاد لأجل أداء التكليف، الجهاد لله، الجهاد بمنأى عن الموارد المادية؛ هذه أمور مهمة، وهذه هي مجموعة العوامل التي تحفظ النظام. وقد كان هذا المعنى متبلوراً في أصل الثورة، كما أنه موجود حالياً أيضاً، فلا ينبغي الانخداع ببعض الظواهر التي يسعى معارضو النظام لتعظيمها وصبغتها بصبغة ما، والمبالغة فيها؛ فإن حقيقة القضية هي وجود الإيمان.

واليوم فإن الإيمان ملأ قلوب شبابنا وشعبنا في أنحاء الوطن، وهناك من لا يفهم ذلك؛ ففي العصر الذي كانت المعنوية في غربلة وعزلة — كعصر الإمام السجاد (ع) — وفي العصر الذي كانت المعنوية فيه مقتدرة — كعصر رسول الله (ص) — كانت هناك شخصيات لا تفهم الهدف من هذه المساعي والجهاد والحركة نحو المعنوية >كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار<¹، ويقول القرآن في إحدى آياته مخاطباً بني إسرائيل: >فمازلتم في شك مما جاءكم به<².

وفي عصر يوسف (ع) حيث بلغت قدرته إلى القمة، وفي الوقت الذي كان فيه الحق الإلهي يسطع كالشمس من وجه يوسف ومن النظام اليوسفي؛ كان أشخاص من بني إسرائيل لا يستوعبونه، وعندما رحل إلى جوار ربه قالوا: سوف لا يأتي نبي بعده! هنالك قلوب من هذا القبيل؛ فيقول الله بعد ذلك فيها: >كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار<. أو يقول: >من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب<³.

القدرة المعنوية عامل لإنقاذ البشرية من الأنا

إن القضية الأساسية للقدرة التي تعتمد عوامل القدرة المعنوية هي توجهات تلك القدرة.

¹ سورة غافر، الآية: 35.

² سورة غافر، الآية: 34.

³ سورة غافر، الآية: 27.

فما هي توجّهات تلك القدرة؟ هي صلاح الإنسان وفلاحه؛ أي نجاته من مصائب الدنيا المادية والمعنوية، إنقاذ الإنسان من الظلم، إنقاذه من العداوة والبغضاء الجاهلية، إنقاذه من مخالب قدرة تلك المجموعة الغافلة العمياء والولهة التي لا تفهم شيئاً غير الأنا، وقد كانت ومازالت هذه هي مصائب الإنسان العظمى.

إنّ البشرية في أكثر عمرها قد ابتليت بقوى أسكرتها الأنانية، ومصير البشرية كان من الأمور التي تفتقد الأهمية عندها.

إنكم ترون في هذه الدنيا شخصيات تطالب بضرورة سيطرة شعوبها وتحكّمها بشؤون الدول وقضاياها، وإن كان ذلك بئمن تحطيم الشعوب الأخرى واستضعافها وإفقارها، وقد كان هذا الكلام يتفوّه به المستعمرون الأوروبيون في عصر الاستعمار، كما أنّ نفس الأمر في زماننا هذا أخذ يجري على ألسن الاستكبار وبشكل واضح أمريكا.

إنّ مصالح هذه الحكومة والدولة ومصالح شعبها هو الأصل، ويقمع كل من وقف أمام هذه المصالح وهددها ولو كانت له مصالح كما تكون لأمريكا! إنّ حضوركم في المنطقة الفلانية من العالم يعني تضيقكم العيش على حكومات وشعوب تلك المنطقة، كما يعني تضيقكم لمصالحهم؛ فيقفون أمامكم؛ ما الذي يدعوكم لترجيح مصالحكم على مصالحهم؟! إنهم لا يفهمون هذا المنطق أبداً.

إنّ الذين يتفوّهون اليوم بهذه العبارات، ويدّعون حرصهم على مصالح شعوبهم، إذا بحثنا في حقيقة الأمر يتبيّن لنا أنهم لا يريدون بذلك إلاّ خداع الآخرين.

إنّ ذواتهم الشخصية هي المهمة عندهم؛ وإذا ما تطرّقوا إلى موضوع شعوبهم، فذلك لأجل أن حكوماتهم وشهرتهم وعناوينهم ومصالحهم وفوزهم كل هذه الأمور تتوقّف على حشر قضية شعوبهم بقضيتهم! لو كان بإمكانهم التصريح بالحقيقة، لكانت الحقيقة من وجهة نظرهم أنه ينبغي إرضاء شهوة أنانيتهم وتكبّرهم وغرورهم، ألم يكن ذلك بلاءً على البشرية؟ وهل يوجد بلاء ابتليت به البشرية أسوأ من هذا؟!!

إنّ أهم ما تفعله القدرة المعنوية هو نجاة الإنسان من هذه الأنانية، والسيطرة والتحكّم بها وبالغرور وبالقوة التي فقدت العنان؛ وهذا من الأمور الأساسية؛ غاية القدرة المعنوية هي نجاة الإنسان من الحياة المادية، نجاته من حيث الحياة الإنسانية، ونجاته بلحاظ الجوانب المعنوية.

النظام الإسلامي وأسس القدرة المعنوية

إنّ نظام الجمهورية الإسلامية قد بنى أسسه — بفضل من الله — على هذه القدرة؛ إنّ هذا النظام يعتمد الإيمان والأسس المحكمة للعقيدة؛ وإنّ الفكر الذي بني على أساسه نظام الجمهورية الإسلامية هو فكر متين ومنطقي وموضوعي ولا خدش فيه. إنّ حب الناس لله ولأوليائه وللرسول وأهل بيته هو أكبر رأس مال يتمتع به هذا الوطن ويمنحه القدرة.

إنّ مجموعتكم من جملة المجاميع المؤمنة؛ فينبغي أن تحافظوا على كيان حرس الثورة بنفس عناصره القيّمة التي أوجدته، واستطاعت به أن تواجه الأعداء وتحافظ على أمن الحدود وتدافع عن استقلال الوطن؛ ينبغي حفظه بنفس الخصوصيات والمواصفات ومع ذات الأسس المستحكمة التي اعتمدها، كما ينبغي تثمين ذلك.

إنّ أعداء اليوم يبدون أشدّ العداء لمراكز اقتدار هذا الشعب الرئيسي ويستهدفونها؛ أحد هذه المراكز المستهدفة بشدّة هو حرس الثورة.. إنهم يسعون للحدّ من قدرته المعنوية قدر الإمكان. وهذا من خطط الاستكبار الطويلة الأمد.

إنّ ترويج الابتذال والمادية والانتهازية من جملة الأعمال التي همّوا بها، ومدى موفّقيتهم في هذا المجال يتوقّف على مستوى إرادة الشعب المؤمن، وعلى إرادة القلوب النيرة والمؤمنة من الناس، ومدى قدرتهم على وقاية أنفسهم.

اطمئنوا إنّ الأعداء سوف لا يتوقّفون أبداً في أعمالهم المضلّة إذا كنتم — وكذا المؤمنون الآخرون — قد اتخذتم القرار وتوكّلتكم على الله.

ثمّنوا أسس القدرة المعنوية هذه، ثمّنوا هذا الإيمان وهذا التلاحم والاتحاد والوحدة بين القلوب، ثمّنوا ما نجده بين عناصر حرس الثورة في جميع أنحاء الوطن، لا تدعو الآخرين يتلاعبوا بهذه القلوب ويخدعوها ويكسبوها إليهم بزخرف القول.

إنكم دافعتم في سبيل الحقيقة المهمة والعظيمة وجاهدتم في هذا السبيل وانتصرتكم؛ وانتصاركم يتملّ اليوم في الاستحكام الكامل للنظام — والحمد لله — ووقوفه معتمداً على نفسه، وفي شعور العدو بأنه غير قادر على إسقاط هذا النظام.. وهذا توفيق عظيم.

إنّ العدو اليوم يقف أمام نظام الجمهورية الإسلامية بكامل عدّته، من الناحية العسكرية والسياسية والإعلامية، وقد دخل الساحة من الناحية الثقافية كذلك؛ ورغم ذلك فكل إنسان يشعر بوضوح أنّ العدو قد يئس منّا.

إنّ العدو يشعر بأنه غير مؤهل لمواجهة هذا النظام المحكم وغير مؤهل للنيل منه، إنّ العدو يأمل منّا — كمسؤولين — أن نوفّر عوامل فشل هذا النظام بأنفسنا؛ وإذا لم نوفّر نحن عوامل الفشل بأيدينا، فإن العدو لا يقوى على عمل شيء.

من اكبر الابتلاءات غفلة المسؤولين عن وظائفهم الإلهية

إنّ أكبر بلاء يمكن أن يبتلى به شعب هو غفلة قادته ومسؤوليه عن مسؤولياتهم الواقعية، وغفلتهم عن وظائفهم التي أرادها الله منهم، والتي تشكّل العمود الأساس لمسؤوليتهم، وينشغلون بالشؤون قليلة الأهمية أو ينشغلون بمصالحهم ويصبحون انتهازيين؛ فتدقّ قلوبهم لا للوظيفة الإلهية، بل لقضايا تافهة لا قيمة لها.

ينبغي أن يلتفت المسؤولون في مختلف المستويات والأجهزة المدنية والعسكرية إلى هذه القضية ويضعوا الله نصب أعينهم.

إنّ عوامل القدرة المعنوية وفيرة لدى هذا الشعب وفي هذا النظام، وقد أثبتت هذه القدرة فاعليتها خلال العشرين عاماً الماضية، وقد أخرجتنا مرفوعي الرأس من ميادين صعبة وتجارب عصيبة؛ فينبغي حفظ عوامل القدرة هذه.

لنعلم أن الله وعدنا العون والنصر، فيستحيل على الله أن يترك شعباً أو أي مجموعة سعت في سبيله.

إذا وجدنا على طول التاريخ أنّ الحق قد دخل معتركاً دموياً، فذلك لأجل أنّ أهل الحق قد انفردوا في معتركهم، ولم يرافقهم الناس، بل تركوهم دون عون ولا نصر، لقد ترك من يتوقع منه العون صاحب الدعوة لوحده؛ كما حصل ذلك للإمام الحسين بن علي (ع)، فإنّ خواص ذلك الزمان لو لم يتركوا الإمام وحده لما واجه هذه التجربة الدامية، بل لسقط يزيد حقاً، وقد كان عكس ذلك في زمن الرسول، فإنّ العون صدر ممن يتوقع منه ذلك، الأمر الذي خلق تلك العظمة وبلور ذلك الشأن العالي.

ونحن بعد الثورة الإسلامية شهدنا هذه التجربة الموفّقة؛ فإنّ الشعب رافق المسؤولين وكان إلى جنبهم، فلم ينفرد أهل الحق، ولم تبقى دعوة الحق دون ناصر.

إنّ عون الله — بفضلته تعالى — كان حليفاً لهذا الشعب في هذه المدّة، وسيكون حليفهم في المستقبل، وسيستطيع هذا الشعب — بفضل الله ودعاء ولي العصر (أرواحنا له الفداء) — اجتياز جميع العقبات، وكذا التجارب الصعبة بموفقية.

ونسأل الله أن يحقق لنا غايتنا وهدفنا الذي يسعى النظام الإسلامي إلى تحقيقه وهو السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة إن شاء الله.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته